الجسد والعنف في السلطة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي (296–362 هـ / 909–973م)

Body and Violence at the Fatimid Authority in the Islamic Maghreb (296-362 AH / 909-973 AD)

ميلودة كينه *

جامعة حمه لخضر- الوادي-

m754362@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/05 تاريخ القبول 2022/09/28 تاريخ النشر 2022/10/13

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الجسد والعنف عند السلطة الفاطمية في المغرب الإسلامي، وذلك من خلال دراسة التعذيب والقتل المسلط على الجسد، خلصت الدراسة أن الدولة الفاطمية استعملت وسائل وأشكال مختلفة لتعذيب منها الصلب حياً والذبح و القتل بالرجم ، وأما عن القتل فقد تفننت في القتل من قطع الرؤوس و قطع الأطراف و القتل عن طريق الركض بالأرجل بشرية أو حيوانية، وتعتبر هذه السياسة أحد أهم محركات الفتن والصراعات التي أدت إلى تلك الصورة الدموية التي ارتبطت في مخيلة الإنسان المغربي بالفاطميين في تلك الحقبة من تاريخ المغرب

الكلمات المفتاحية: المغرب الإسلامي، الدولة الفاطمية، الجسد، العنف، التعذيب.

***Abstract*:**

This study focuses on the body and violence of the Fatimid authority in the Islamic Maghreb (296-362 AH / 909-973AD). We will try to focus on one of the most important forms of violence at the Fatimid authority in the Islamic Maghreb, which is torture and murder in its ugliest forms.

* المؤلف المراسل

The study concluded that Fatimid authority Various methods and forms of torture were used, including beating, crucifixion alive, slaughtering, killing by stoning and skinning, burning people alive, and innovative methods of torture. As for killing, the Fatimid authority mastered the killing of beheading and cutting off limbs and killing by running with human or animal legs. And strangulation, as well as the ceremony of humiliation that she used to humiliate the body after leaving the soul from it. This policy is considered one of the most important engines of sedition and conflicts that led to that bloody image that was associated in the Maghrebian human imagination with the Fatimids in that period in the history of Maghreb.

Keywords : Islamic Maghreb ، The Fatimid State ، The body ،Violence Torture

مقدمة:

تحولت الحركات المذهبية إلى مشاريع إيديولوجية تبريرية لممارسة السلطة وبقائها؛ و مثلت ركيزة كبرى تبرر بها السلطة ممارستها السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية، وتدافع بها عن كيانها وبقاءها واستمرارها، وهذا ما مثلته الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي(296-362هـ/909-973م) من خلال سياستها المذهبية السلطوية؛ وذلك من خلال تحويل المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى مشروع سياسي تبرر به ومن خلاله سياسة العنف، وفي ظل تشكل الدولة السلطانية الفردية المرتبطة في مخيلة العصر بمفهوم الغلبة والقهر والاستطالة ونتيجة غياب مرجعية قانونية للمعاقبة ومؤسسات منظمة للعلاقات بين الحاكم والمحكوم؛ اعتمد حكام العصر ذوو النزوع الاستبدادي على القوة والسطوة وكبت الحريات وانتهاك الكرامة وزرع الخوف في المجتمع كضامن أساسي لاستمرار الحكم وصلابته وتحقيق مصالح ذاتية .

سنحاول تسليط الضوء على أحد أهم أشكال العنف عند السلطة الفاطمية في المغرب الإسلامي وهو التعذيب والقتل بأبشع صوره : الجسد والعنف عند الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي(296-362هـ/909-973م)

وإثراء لهذا الدراسة تم طرح التساؤل الرئيسي التالي: إلى أي مدى تجسد الجسد والعنف في سياسة الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي (296-362هـ/909-973م)

فيما جاءت التساؤلات الفرعية كالأتي:

- ما هو الجسد؟
- ما نقصد بالعنف؟
- لماذا جعلت السلطة الفاطمية من جسد المعذب وسيلة لسيطرة وإثبات هيمنها؟
- كيف كان مبرر السلطة الفاطمية لحمام الدم الذي قامت به في المغرب؟
- ما هي أهم أشكال وطرق تعذيب الجسد عند الدولة الفاطمية؟

أهداف الدراسة:

الإجابة على الإشكالية الرئيسية وما تندرج تحتها من إشكاليات فرعية، ومحاولة إثراء المدرسة التاريخية الجزائرية بدراسات في العصر الوسيط من خلال إثارة بعض الإشكاليات ومحاولة الإجابة عليها.

ثانيا–تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة:

1–تعريف الجسد:

بين الإنسان وجسده صلة لا تمحوها متغيرات الزمن ولا يقطعها تبدّل المكان، فهمي ترتدّ إلى أعماق كينونته حينما نشأ الوعي بضرورة البرهنة على حضوره في الكون، فكان الجسد العلامة الأولى التي حدّدت صيغة ذاك الحضور مادّياً[1]. سنحاول تعريف الجسد لغة واصطلاحا:

أ– لغة: كلمة الجسد تطلق على جسم الإنسان[2]، فقد جاء في لسان العرب: الجسد هو جسم الإنسان، ولا يُقالُ لغيره من الأجسام المغتذية، ولا يُقالُ لغير الإنسان جسدُ من خلق الأرض، والجسد هو البدن وتقول منه تجسد كما تقُول من الجسم تجسم[3].

ب- اصطلاحاً: إن المهمة الأولى التي يجب على الباحث السوسيولوجي أو الأنثروبوبوجلي القيام بها هي التخلص من النزعة التي تجعل من الجسد ملحقاً بالشخص أو ملكاً له، وليس الزمان والمكان المبهم للهوية، كما يجب احتفاظ الذاكرة بالخاصية المبنية لما يسمى" الحقيقة الموضوعية" للجسد، وبالعديد من الدلالات التي تغذيه، فالدال" الجسد" ما هو إلا تخييل، لكنه تخييل فعال وحي ثقافياً(إن هو لم ينفصل عن الفاعل، وكان هذا الأخير منظوراً إليه كجسدية) مشبه مثل المجموعة بمعناها وقيمها التي ترسم مكانتها ومنجزاتها، ومتخيلاتها بشكل متغير ومتناقض من مكان وزمان لآخر داخل المجتمعات الإنسانية[4] .

2- تعريف العنف:

العنف ظاهرة تسود كل مجال يعمره الناس، مما يعني أنه بالرغم مما بذله البشر طيلة تاريخهم لأجل القضاء عليه، فإن مجهوداتهم لم تكلل بالنجاح، مما جعلهم أبعد ما يكون عن تحقيق مجتمع عادل، يتجه أفراده نحو تحقيق غاياتهم، ومن ثمة غايات المجتمع ككل بدل الدخول في صراعات مفتوحة تتسبب في هدر الناس لطاقاتهم وأموالهم[5] .

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب أن العنف من عنف: العُنْف: الخرق بالأمر وقلّة الرّفق به، وهو ضد الرفق. عنُف به وعليه يعنُف عُنْفاً وعنافة وأعنفه وعنفه تعنيفاً، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره. واعتنف الأمر: أخذه بعُنف. وفي الحديث: إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف؛ هو بالضم، وهو من الشدة والمشقة، وكلُّ ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشرّ مثله[6] .

ب-اصطلاحا: حسب موسوعة لالاند الفلسفية فإن Violenc عنف ؛ هو استعمال غير مشروع أو على الأقل غير قانوني للقوّة[7]، العنف هو استخدام القوة بغاية السيطرة والهيمنة(أو حتى الدفاع عن النفس)، وهذا المثال يتضح بما يسمى العنف الفيزيائي: استخدام القوة الجسدية في السيطرة على الأخر أو الدفاع عن النفس مثل

الضرب والشد والركل والدفع. وهذا يعني بأن العنف هو تحول القوة من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل بغاية السيطرة والهمينة على الأخر. وهنا نلاحظ أن العنف مشروط بالغاية التي توظف فيها القوة(الهيمنة أو الدفاع عن النفس). وبالطبع فإن ممارسة العنف تكون بين طرفين وهذا[8] .

يمكن القول بأن العنف هو الخرق بالأمر وقلة الرفق والرأفة ليشمل كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ والتقريع، وفي كثير من التفسيرات الاجتماعية والنفسية يُعرف بأنّه: السلوك المؤدي للمس بالآخر سواء كان جسمانياً أو نفسياً، انطلاقاً من ثقافة عدم الاعتراف بحقوقه المادية والمعنوية، مما يؤدي الى فرض وتكريس روح وآليات الاستبداد على مختلف أشكاله وألوانه، ويأخذ العنف بُعداً سياسياً حين يتم استخدامه(سواء بالاعتداء الجسدي أو الشفهي) لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين لتحقيق أهداف سياسية، وفي ظل الدولة التي تتدثر بالدين يكون العنف أشد ضراوة؛ حيث يسهل إيجاد مبررات دينية كافية من خلال توظيف النصوص المقدسة، و تأطير المسوغ القانوني والاجتماعي لتغليف العنف المادي والمعنوي للحكام، بغية إحكام السيطرة وفرض القمع وتصفية الخصوم، ومصادرة كل مظاهر الحريات[9].

ثالثا- الدولة الفاطمية و سياستها في المغرب الإسلامي :

لقد تم تأسيس الدولة الفاطمية في سنة 296هـ على يد أبو عبد الله الشيعي، وأقام ملكه على أنقاض دويلات بلاد المغرب، ومرت في حكمها بمرحلتين: المرحلة المغربية296هـ362هـ/910-973م وكانت عاصمة الدولة فيها رقادة أولا ثم المهدية ثم المنصورة، وتوالى الحكم عليها أربعة حكام هم: عبيد الله المهدي297-322هـ وتولى الخلافة في ظروف جد صعبة مليئة بالاضطرابات والمخاطر، وحينما وافته المنية تولى الحكم من بعده أبو القاسم محمد القائم222-334هـ ثم خلفه ابنه أبو الطاهر إسماعيل المنصور 334-341هـ ويعتبر إسماعيل المنصور المؤسس الثاني للدولة الفاطمية، بعدما

استطاع القضاء على ثورة صاحب الحمار، وبعد وفاته تولى الحكم ابنه المعز لدين الله 342-365هـ ويعتبر عصر أزهى عصور المرحلة المغربية، بحيث استطاع مد نفوذ دولته إلى مختلف أنحاء بلاد المغرب من برقة شرقا إلى طنجة غربا[10].

يمكن تحديد أهداف السياسة الفاطمية؛ وهي القضاء على الأخر العباسي في المشرق، ولتحقيق ذلك لا بد من دولة قوية ماليا وعسكريا في بلاد المغرب قادرة على إسقاط الخلافة العباسية وفي نفس الوقت وضع وتوطيد نظام محلي، تحسبًا لكل طارئ يعيق تحقيق هذا المشروع، وهذا هو الذي طبع الإدارة الفاطمية في مرحلة المغربية بطابع الخصوصية في كونه نظاما عسكريا مركزيا جمع كل السلطات في يد الإمام لكي يقف بقوة في وجه أي عائق يحول دون الوصول إلى الهدف المنشود لهذا تكونت إدارة خاصة تولت تسيير أمور الدولة في المجالين الدعوي والعسكري[11].

إن الدعوات الدينية تحولت الى مشاريع إيديولوجية تبريرية لممارسة السلطة وبقائها، وتمثل ركيزة كبرى تبرر بها السلطة ممارساتها السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية وتدافع بها عن كيانها وبقائها واستمرارها[12]، ومن المتعارف عليه عند أهل الفكر السياسي من القدامى والمحدثين وجوب السلطة وضرورتها واستحالة الاستغناء عنها، ومع تداخل المجالين الديني والسياسي بشكل كبير[1] في العصر الوسيط، وفي ظل تشكل الدولة السلطانية الفردية المرتبطة في مخيلة العصر بمفهوم الغلبة والقهر والاستطالة ونتيجة غياب مرجعية قانونية للمعاقبة ومؤسسات منظمة للعلاقات بين الحاكم والمحكوم؛ اعتمد حكام العصر ذوو النزوع الاستبدادي على القوة والسطوة وكبت الحريات وانتهاك الكرامة وزرع الخوف في المجتمع كضامن أساسي لاستمرار الحكم وصلابته وتحقيق مصالح ذاتية[13].

رابعا- **التعذيب عند السلطة الفاطمية:**

1

على الرغم من أن التعذيب ليس واردا في الجرائم كلها، إلا أن كل تعذيب يشكل جريمة، والجنايات التي تحتوي على التعذيب شائعة إلى درجة أنها نادراً ما صارت تحظى بالاهتمام، يعتبر التعذيب وسيلة لانتزاع المعلومات، وهذا بالطبع كان وما يزال المبرر الأكثر شيوعاً لاستخدام التعذيب، والسبب في اعتباره مبرراً واهياً سبب واضح جداً، فالذين يرغبون في أن يكونوا شهداء نادراً ما يعترفون أو يكتشفون عن أي شيئ بالإكراه، وعلى العكس من ذلك كان آخرون قد عرف عنهم أنهم يعترفون بأية جريمة ويقدمون أية معلومات عندما يخضعون للتعذيب[14]. يعد التعذيب أحد أهم مظاهر العنف والذي اعتبره البعض طقساً منظماً لوسم الضحايا، وفناً يرتبط بنمط الإصابة الجسدية، وبكمية وزخم الأوجاع، وتكنولوجيا تهدف السلطة من وراء استخدامها إلى ترويض الجسدي البشري واستثماره وإخضاعه واستعباده[15].

قد كان التعذيب حاضر في سياسة الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي؛ فقد كان ذلك من خلال حضور الكلمة وبقوة في المصادر التي أرخت للفترة، فقد جاء في معالم الإيمان لدباغ عن من ماتوا في دار البحر بالمهدية تحت العذاب:"...وقال أبو الحسن القابسي- عن شيوخه الذين أدركهم- أن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح..."[16]. وفي تعذيب وقتل التاجر الأندلسي أبو جعفر بن خيرون يقول ابن عذاري:"...وفيها قُتل من التِجار أبناء الأندلسيين بالقيروان أبو جعفر بن خَيْرُون، صاحب المسجد الشريف والفنادق المجاوِرة للسجن، بسعى كان للقاضي المرُّذي عليه، وشهادةٍ شهد بها أن قبله وديعةُ كبيرة، فطُولِب بها وعُذّب حتّى مات". وقد تحدث ابن عذاري في موضع أخر عن من مات في عذاب الشيعة[17].

لم تخفي المصادر عن تحصر وحزن الإمام المنصور بالله بموت مخلد بن كيداد، فقد أراده ليتفنن في تعذيبه فيقول الدرجيني في هذا:"..فاستدعى الأطباء ليعالجوه يريد حياته ليعذبه بأنواع العذاب..."[18].

أما عن أساليب وأشكال التعذيب عند الدولة الفاطمية كثيرة نذكر منها:

1-الضرب: عن الضرب كوسيلة من وسائل التعذيب؛ لما ولي القضاء المروذي في أيام أبي عبد الله الشيعي أخذ قوماً من أهل العلم فضرب بعضهم وسجن بعضهم[19]، فقد ذكر الخشيني عند وفاة أبو سعيد المعروف بالوكيل قامت السلطة الفاطمية بحجز أمواله وضرب ابنه بالسياط[20].

الصلب حياً: فقد صُلِبَ قاضي مدينة برقة محمد بن إسحاق الحبلي(ت341هـ/م) والسبب رفض طلب عامل برقة بأن يصلي ويخطب خطبة العيد بسبب عدم ثبوت رؤية الهلال، وكتب بما جرى لسلطات الفاطمية، أمر برفعه للعاصمة فلما وصل إلى العاصمة: طلب منه الإمام إمّا أن تدخل في دعوة الفاطمية وتتراجع عن قرارك أعفو عنك، فرفض القاضي الدخول في الدعوة الشيعية الإسماعيلية، فنصب له صارياً عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب المهدي وعُلق بيده إليه في الشمس، فأقام كذلك بارزاً لشمس في شدة الحر، فكان يطلب من يسقيه الماء وهو في ذلك الحالة فلم يجبه أحداً من الناس خوفاً من السلطة، بقي على تلك الحالة حتى مات في مساء ذلك اليوم، فأخذوه فصلبوه على خشبة بـ" باب أبي الربيع"[21].

2-السلخ: سمي المنصور بالله بالسلاخ لأنه أمر بسلاخ كثير من المناوئين والمعارضين به، فقد كان مصير أحد من المتمردين الذين ادعوا النبوة في عهده أنه أمر بسلخه حيا وحشو جلد قطنا وخيطت وصاله حتى تمت جثته وصار كأنه نائم و قدد لحمه وملح أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد ، وقد أمر كذلك بسلخ الثائر أبو يزيد النكاري بسلخه

حياً؛ فأخذوا يسلخونه فلما وصلوا إلى سرته مات(الشيخ أبي العبّاس أحمد بن سعيد الدرجيني(ت670هـ)، (د، ت)، ص102.

3-القتل بالرجم: فقد جاء في رحلة التجاني عند انهزام الجيش مخلد بن كيداد تحت قيادة القائد العسكري أيوب أمام جيش الفاطميين بقيادة القائد العسكري بشرى بالقرب من مدينة تونس، فما كان من هذا الأخير إلا أن وجه الجيش المهزوم إلى المدينة فقتلهم العامة بالعصي والحجارة، فانقلب أيوب إلى أبي يزيد فأخبره بالوقيعة فساءه ذلك ورحل بنفسه قاصدا بشرى فوجده قد انصرف إلى المهدية فوقف على المعترك وترحم على قتلاهم وأمر بدفنهم[22].

4- الذبح: عمل ابن خنزير-عامل القيروان في أيام عبيد الله المهدي- بذبح كل من الفقيه إبراهيم بن البرذون() وأبا بكر بن هذيل () فيقول المالكي في هذا:"....ابراهيم الضبي فإنه لما أتي به إلى ابن أبي خنزير ووقف بين يديه قال له: يا خنزير، فقال له الضبي: الخنازير معروفة بآباءها، فغضب وعاجله بالقتل صبراً، فضرب عنقه ولم شصربه، وضرب ابن هذيل خمسمائة سوط ثم ضرب عنقه وطيف بهما جميعاً مربوطين الى البغل مسحوبين على وجوههما في سماط القيروان وصلبا بباب أبي الربيع."[23].

5- -حرق الناس أحياء: قد استعملها القائد الشيعي حباسة بن يوسف في سنة301هـ/914م مع جماعة من أهل برقة؛ بعدما علم أنهم يتواصلون ويتراسلون مع العباسين عن طريق الحمام فيقول ابن عذاري في هذا:"...أخذ ببرقة جماعة كانوا يلعبون بالحمام، فأضرم لهم ناراً لهم ناراً، وأجلسهم حواليها، وأمر بأن تقطع لحومُهم وتُشوى، ثمّ يطعمونها، وقذفهم بعد ذلك في النار.."[24].

6- طرق مبتكرة في التعذيب: أثناء حصار مخلد بن كيداد على المهدية، وفي إطار تحرير المدينة، ابتكر الإمام المنصور بالله شكل جديد من العذاب لأنصار مخلد بن كيداد، وهي طريقة الذي تؤدي إلى الموت البطيّ ؛ فقد قام ببناء خندق كبيرا وأضرمه

ناراً وعلق عليه بكرة؛ فإذا أخذ أحداً من أنصار مخلد بن كيداد علقه برجليه إلى البكرة، ثم مالاه في التنور إلى الموضع يناله إلى موضع يناله حر النار فيه، فإذا أشرف على الموت روح شيئاً؛ فإذا رجعت إليه نفسه أعاده حتى يموت[25].

خامسا- فنون القتل عند الدولة الفاطمية:

جعلت السلطة من جسد المعاقب مجالا مفتوحاً لتنفيذ الأحكام وعُرضة سهلة لكل اعتداء وهدفاً لتحقير والتدمير فيما يعرف بـ"التوظيف السياسي للجسد"، فإمعاناً في بث الرعب وترسيخ الخوف وتأكيد حضور السلطة الدائم[26].

1- قطع الرؤوس:

كانت عملية قطع الرؤوس وتعليقها على أبواب المدن وفي الساحات العامة وهي تقنية الأكثر سيادة خلال العصر الوسيط، وقد أضفى الفاطميين على تلك التقنية طابعاً احتفاليا لإمعان في ترسيخ هيبة السلطة وقوتها، وبث الرعب عند كل من تسول له نفسه التمرد والعصيان، ودون أدنى مراعاة لشروط الصحة العامة إذ ما أخذنا في الاعتبار بقاء تلك الرؤوس معلقة لعدة أيام وربما في أجواء شديدة الحرارة مما يتسبب معه انتشار الروائح الكريهة[27].

يأذن المنصور بالله الفاطمي بعرض رؤوس القتلى الثوار حصن" ماواس" بالقيروان والمهديّة فيقول الداعي إدريس في ذلك:"...وبعث رؤوس مُقدّمِي الفسَقة ومذكوريهم وذوي التقدّم منهم، وكتب أسماءهم في رقاع عليها، لتطوف بها في المحافل فيما قِبلَكَ..."[28].

يبدوا أن مشهد الرؤوس المقطوعة بات معتاداً حتى لدى أطفال عصر الفاطميين حتى أنهم كانوا يلعبون بها يقول المقريزي في هذا:"...فر أبو يزيد على وجهه، وقتل من أصحابه ما لا يحصى كثرة، حتى أن الذي أخذه أطفال أهل القيروان خاصة من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس"[29]، وحينما خالفت هوارة بطرابلس السلطة الفاطمية وقدموا

على أنفسهم أبا هارون الهوّارة؛ وزحف أيضاً جماعة من زناتة ولماية وغيرهم من القبائل إلى مدينة إطرابلس مُحاصرين أهلها، فأخرج إليهم عُبيد الله الشيعي أبا زاك تمّام بن مُعارك الأجاني وجيش معه جيشاً عظيماً فحاربهم أبو زاك حتّى هزمهم وفرّق جموعهم وقتل كثيراً منهم وبعث برؤوس كثيرة وأذانٍ مفرطة لمن قتل قتل ونصبت برقادة [30].

أما عن قطع الرؤوس كوسيلة لتعذيب الضحية في السلطة الفاطمية فقد حضر بقوة؛ فأثناء حملات أبو عبد الله الشيعي بالمغرب الأوسط من سنة(298/297هـ) وأثناء انتصاره على زناتة بطبنة (297هـ/910م) كتب أبو عبد الله الشيعي إلى الإمام المهدي بخبر الانتصار ووجّه برؤوس من قتل في تلك المعركة من وجوه زناتة وغيرهم[31] في سنة 302هـ/915م وحينما علم عبيد الله المهدي بخيانة حُباسة بن يوسف له؛ فأمر بقتله وجميع قرابته فأخرجوا من السجن وقطعت رؤوسهم وكتب أسماؤهم في بطائق وعلقت في أذانهم وأدخلت إلى عبيد الله المهدي فنظر إليها وإلى رأسي حُباسة وعروبة فقال:" ما أعجب أمور هذه الرؤوس ضاق بها المشرق والمغرب وحملتها هذه القفة"[32]. و الفقيه ربيع القطان(ت334هـ/945م) فقد كان من الذين خرجوا على بني عبيد مع مخلد بن كيداد، فقتل بقرب المهدية بالوادي المالح وقطع رأسه[33] .

2- **-قطع الأطراف:** لم تقتصر العقوبات الموجهة للجسد على عقوبة قطع الرأس وما تحمله من دلالة القضاء على العقل المدبر للفتنة والمتحكم فيها، وإنما امتدت لتشمل أعضاء أخرى كبتر الأذرع والسيقان والألسن والأذان[34]، فقد قطعت أذان ثوار هوارة بطرابلس يقول ابن عذاري في هذا:"...وبعث برؤوس كثيرة وآذان مفرطة لمن قتل فنصبت برقّادة.."[35]. وفي 307هـ/م قتل بالقيروان عروس المؤذن بمسجد ابن عيّاش الفقيه، وسبب قتله أنه كان يؤذن في المسجد ابن عياش الفقيه فشهد عليه بعض المشارقة أنه لم يقل" حي على خير العمل"

فقطع لسانه وعمل بين عينيه وطيف به في القيروان ثم قتل[36]، وفي سنة309هـ/م قطعت يدا سجان ورجلاه كعقوبة لهروب ثلاثة عشر رجلاً[37] .

3- القتل عن طريق الركض بالأرجل بشرية أو حيوانية:

فقد قتل الفقيه أبو جعفر محمد بن خيرون الأندلسي القرطبي(ت297هـ/م)[38]، بأبشع صور القتل؛ وذلك عن طريق الركض بالأرجل البشرية، فقد تحدث المالكي على الحادثة عن قتله فقال:" حدث الشيخ أبو الحسن بن القابسي رضي الله عنه قال:" ذكر لي من أثق به أنه كان جاساً عند ابن أ[ي خنزير- لعنه الله- في سقيفة حتى دخل عليه شيخ ذو هيئة جميلة وقد علاه صفار وسمت وخشوع وعلى رأسه منديل فلما رآه ابن خنزير بكى، فقال له: ما الذي أبكاك؟ قال: السلطان-يعني عبيد الله- وجه إلي يأمرني أن آمر بدوس هذا الشيخ حتى يموت وهو ابن خيرون، قال ثم أمر به فأدخل إلى المجلس صم بطح على ظهره وطلع السودان فوق السرير فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات، فلما مات أخذوه وحملوه على بغل وألقوه في حفير، وذلك لجهاده في الدين وبغضه لعبيد الله وجنده رحمة الله تعالى عليه، وكان الذي عمل عليه وسعى به المروذي"[39].

أما عن القتل عن طريق الركض بالأرجل الحيوانية فقد تم قتل القاضي المروذي فيقول المالكي

:" فلما طال على ابن أبي خنزير كثرة ما يأتي به المروذي من العلماء والصالحين ليقتلهم سعى به عند عبيد الله ومضى فيه إلى المهدية فقبل عبيد الله قوله ومكنه منه فأخذه فألبسه تليساً ورماه في اسطبل الدواب تمشي عليه فركضت في بكنه حتى قتلته، فكانت تلك الموجلة- التي كانت لأبن هيرون- تأتيه وهو تحت أرجل الدواب، فيقول لها: إنك بسببي صرتِ عند السلطان، فتقول له: يا شيخ السوء قتلت سيدي ابن خيرون شيخ القيروان وأزلتني من عنده ورددتني عند خنزير لن خيرون وتأمر خدمها فيلطمونه ويطعمونه قذره، وكانت هي المتولية لعذابه حتى هلك..."[40].

4- االخنق:

من الوسائل التي لجأ الفاطميين لقتل المعارضة هي الخنق حتى الموت، حين دخل مدينة رقادة 296هـ/909م أمر بقتل إبراهيم بن بربر بن يعقوب التميميّ المعروف بالقوس؛ فقُتل خنقاً بعد أن اكتشف المؤامرة التي قام بها ضده، قال أبو علد الله الشيعي:" ما أمنتُ بإفريقية حتّى قتلتُ القوس"[41].

5- حفل الإذلال:

للجمع بين العرض العقابي للردع ونقشه في ذاكرة الجماهير و الاحتفال التشهيري للإمعان في إزداراء الخصم أو الثائر كان يُنصب له حفل إذلال قد يتجاوز الموت نفسه أثر بعض الثوار الانتحار هروباً من هذا المصير المحتوم، ابن حيان، المقتبس حيث يُقاد عاري الرأس يطاف به ويصفع على قفاه، مما يسقط عنه خصائص الرجولة، وقد يوضع في قفص مما يجعل منه حيواناً[42].

للجمع بين العرض العقابي للردع ونقشه في ذاكرة الجماهير والاحتفال التشهيري للإمعان في ازدراء الخصم أو الثائر كان يُنصب له حفل إذلال قد يتجاوز الموت نفسه، حيث يُقاد عاري الرأس ويطاف به ويصفع على قفاه؛ مما بسقط عنه خصائص الرجولة، وقد يوضع في قفص مما يجعل منه حيواناً؛ وهو موجه أصلا لوشم الذاكرة من خلال هذا الأثر المرعب [43]، فلما استقر عبيد الله المهدي أمر بطلب اليسع بم مدرَار حيث كان، فخرجت الخيل في طلبه ومن معهُ من أهل بيته، فأخذوهم وأتوا بهم إلى عبيد الله، فأمر بضرب اليسع بالسياط، فضرب وطيف به في بلاد سجلماسة، ثم أمر بقتله فقُتل هو وكلُّ من هرب معه من أهل بيته[44]، أما الثائر المارطي بعد القبض عليه هو وأصحابه 300هـ/913م ببلد كتامة؛ قفل أبو القاسم بن عبيد الله بهم إلى رقادة؛ فطُوّفوا بالقيروان على الجمال وعليهم القلانس الطوال المشهرة بالقرون والمصافع و فقتلوا بمدينة رقادة[45].

أما عن مخلد بن كيداد بعد موته فقد أمر الإمام المنصور بالله بسلخ جلده وحشي بالتبن بعد أن أُخرجت أحشاؤه ومُلح وعُولج حتّى ظهرت صوربه كأنّها ناطقة، وجعل في صندوقين طويلين وأمر الإمام بحمل الصندوقين، فكان إذا ورد مدينة أمر بإخراج ذلك الجلد، ويُحمل على جمل، ويلبس على رأسه، ورجل يُمسكه من خلفه كي لا يميل وينادي عليه وعلى كتفه وصُلبه قردان يصفعانه ويلعيان عليه[46].

سادسا- الخاتمة:

وفي الأخير وبعد دراسة الجسد والعنف في الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي نخرج بعدة نتائج أهما:

- استعملت السلطة الفاطمية وسائل وأشكال مختلفة لتعذيب منها الضرب و الصلب حياً والذبح و القتل بالرجم و السلخ و حرق الناس أحياء و طرق مبتكرة في التعذيب.

- وأما عن القتل فقد تفننت السلطة الفاطمية في القتل من قطع الرؤوس و قطع الأطرافو القتل عن طريق الركض بالأرجل بشرية أو حيوانية و االخنق وكذلك حفل الإذلال التي كانت تقوم به لإذلال الجسد بعد خروج الروح منه.

الهوامش:

[1] سامي الرباحي، الجسد في الثقافة الإسلام بين الفقه والبيان، مؤمنون بلا حدود، 2016، ص4.

[2] أسامة جميل عبد الغني ربايعة، لغة الجسد في القرآن قدمت هذه الأطروحة لمتطلبات درجة الماجستير في قسم أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ،كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية،2010، ص7.

[3] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، مج9، دار صادر، بيروت، (د، ت). ص622

[4] دافيد لوبروتون، سوسيولوجيا الجسد، تر: عياد أبلال، إدريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2014.ص64.

[5] محمد بهاوي، العنف والعدالة نصوص فلسفية مختارة، ج 13، ومترجمة، افريقيا الشرق، الدار البيضاء،2013، ص 5.

[6] ابن منظور، المصدر السابق، ص257

[7] أندريه لالاند، موسوعة لا لا ند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، لبنان، فرنسا، 2001، ص ص 1554-1555.

[8] علي أسعد وطفة، من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي قراءة في الوظيفة البيدغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية، كلية التربية، العدد 104، السنة26، شتاء 2009، ص61.

[9] خالد حسين محمود، ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم خلال المرحلة المغربية(296-362هـ/ 909-973م)، مصر،(د، ت) 10-11.

[10] حيمي عبد الحفيظ، أجهزة الأمن الداخلي في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب 297-363هـ/ 911-974م، مجلة الخلدونية، مج9، 2019، ع1 ص41.

[11] بوبة مجاني النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي،296-362هـ/909-973م(الجزائر- ليبيا- تونس- المغرب)، دار بهاء الدين، ط1، الجزائر،1430هـ-2009م، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 1431هـ-2010م، ص63.

[12] سماحي بوحجرة، المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط الغزالي بين التزامات العالم و الزامات السلطان، أطروحة لنيل هادة الدكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران2، إشراف: عبد القادر بوعرفة، 2016/2015.ص43.

[13] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص2

[14] بيرنهاردت ج.هرووود، تاريخ النعذيب، تر: ممدوح عدوان، دار عدوان للنشر والتوزيع، 2017، ص 55-56.

[15] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص49

[16] أبو زيد عبد الرحمان ب محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ(ت296هـ/م)، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوحي(ت839هـ/م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج2، تح: محمد أحمدي أبو النور وأخرون، مكتبة الخانجي، المكتبة العتيقة ، ط1، مصر، تونس، (د، ت)، ص34.

[17] *ابن عذاري المَرّاكُشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1 ، تح: ج.س.كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، لبنان ، 1938م*، ص102.

[18] ابن عذاري المراكشي، *المصدر السابق*، ص169

[19] أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ، ج1، تح: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1414هـ/ 1994، ص48

[20] أبي عبد الله محمّد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي(ت361هـ/م)، 1415هـ-1994م.، ص228-229

[21] أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، المصدر السابق، ص404-405

[22] أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1981.

أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، المصدر السابق، ص48-49 [23]

[24] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص170.

[25] أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار بني عبيد وسيرتهم، تح: التهمامي نقرة وأخرون، دار صحوة لنشر والتوزيع، مصر،(د، ت)، ص74.

[26] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص40

[27] نفسه ص42.

[28] الداعي إدريس عماد الدين القرشي(ت872هـ/1488م) ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار-، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985م . ص479.

[29] تقي الدّين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاَ،ج1، تح: جمال الدّين الشيّال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية؛ ط2، مصر، 1416هـ-1996م ، ص84.

[30] *ابن عذاري*، المصدر السابق،ص163.

[31] الداعي إدريس عماد الدين القرشي، المصدر السابق، ص178-179.

[32] *ابن عذاري المرّكشّي، المصدر السابق*، ص172.

[33] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ(696هـ)، ص30-34.

[34] خالد حسين محمود، المصدر السابق، ص43.

[35] *ابن عذاري المرّكشّي، المصدر السابق* ، ص163

[36] *نفسه*، ص183، الدباغ، المصدر السابق، ص6.

[37] أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، ص174، و قد ذكر ابن حماد أن المنصور بقطع أيدي وأرجل ثم صلب أصحاب مخلد بن كيداد(ابن حماد،(د، ت)، ص66.

[38] الدباغ، المصدر السابق، ص290.

[39] أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، ص54-55.

[40] نفسه، ص55-56

[41] *ابن عذاري المرّكشّي ، 1938م*، ص150.

[42] خالد حسين محمود، المرجع السابق، ص47.

[43] نفسه، ص47.

[44] النويري، المصدر السابق، ص65.

[45] *ابن عذاري المرّكشّي ، 1938م*، ص168.

[46] الداعي إدريس عماد الدين القرشي، المصدر السابق، ص151-152